Language Art, 9(4): pp. 61-76, 2024, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2024.22 DOR:
فصلنامه هنر زبان، دوره ۹، شماره ۴، سال ۲۰۲۴، از صفحه ۶۱ تا ۷۶

الرمز الديني والتاريخي في شعر حسين زيدان: نماذج من ديوان (فضاء لموسم الإصرار)

الدّكتورة زينب عبد العزيز [1]
أستاذ محاضر ب، قسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر.

(Received: 7 September 2024; Accepted: 15 November 2024; Published: 30 November 2024)

ملخص

يعدّ الشاعر الراحل حسين زيدان من بين الشّعراء الجزائريّين الإيحائيّين المبدعين؛ فهو مولع بالرّمزيّة مفسح المجال للقارئ بأن يتمعن فيها ويجوب بنظره ويستحضر ما عنده من زاد معرفيّ تراثيّ تاريخيّ وروحيّ دينيّ، ليكتشف لوحده عن جوانب قصده ومحاولة الوصول لمراده من توظيفها. ولأن الدراسات التي تناولت أعمال حسين زيدان قليلة بالرغم من تميزها بطبيعة روحية، وفيها نوع من التأريخ خلال المنعطفات الحاسمة في تاريخ الأمة. لذلك، اخترنا دراسة الرمزية التاريخية في نصوصه الشعرية على وجه التحديد، فسعينا للإجابة عن الأسئلة المركزية الآتية: ما هو دور الرمزية الدنية والتاريخية في شعر حسين زيدان؟ هل كان استخدامها عَرَضياً أم أساسياً في تشكيل بنية قصائده ومعناها؟ وقد سرنا وفق المنهج الوصفي بآلياته المختلفة، وتوصّلنا في الأخير إلى أنّ الرّمزيّة الدينية والتاريخيّة في أشعار حسين زيدان _من خلال النّماذج التي سقناها_ قد شكّلت بعدا محوريّا هاما في تشكيل النّصوص، وسيولة دلالتها في استحضار متواصل للماضي ورموزه، إما للتفاؤل به أو التحسّر عليه أو حزنا عليه، وذلك وفقا للسياق الذي اقتضاه حال القصيدة.

الكلمات الأساسية: الذات، الرمزية، الماضي، المقدّس، الهوية، الشعر الجزائري، حسين زيدان.

[1] Email: zineb.abdelaziz95@gmail.com

مقدمة:

وأيّنا لا ذاكرة ولا تاريخ له! فلما كانت الذاكرة والتاريخ حاضرتين عند الإنسان بأشكال وتمظهرات عدّة، سواء عن وعي منه أو عن غير وعي منه، بل ومكوّنة له، مشكّلة لشخصيته، وكان الشّعر من بين الأدوات الحضاريّة التي عبّر بها العربي _منذ العصر الجاهلي_ معلنا ذاته وما تختلج به نفسه من رؤية وجوديّة وانعكاسا لبيئته وظواهرها (عبد العزيز ٢٠٢٢، ٧٥٠-٧٥١)، فقد كان التاريخ حاضرا فيها بنسبة أو بأخرى، ولا يشطّ الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر عن هذا، فقد كان التاريخ والرّمز من أهم روافده، ومن أبرز عناصر تكوين قصيده وأبياته.

ولما كان شعر حسين زيدان شعرا متشبثا بقيم الهويّة والأصالة، متأزّرا بعباءة الإسلام وقيمه الوضّاءة، حاك صاحبها نسيج قصائده بمفردات طيّبة ملتزمة موزونة، تبين وتشي عن طيب نفس صاحبها وأخلاقه الحميدة، ولا تزال أشعاره نابضة بالمعاني والحياة، مكنونة تنتظر الكشف عن تجلّياتها وما تنطوي عليه من روحانيات، وكريمة مفصحة عبر الرّمزيات، مستجلبة وداعية إلى تعدّد القراءات، وتعطيك في كل قراءة بحرا من الدلالات، فكأنّها معين لا ينضب ماؤه، وكأنّها شفّرت برموز سرّيّة، يستقي منها القارئ بقدر ما استعدّ، وبقدر ما لديه من زاد. وقد اخترنا الديوان الأول للشاعر "فضاء لموسم الإصرار"، لما لعناوين قصائده وبوح كلماتها من أسرار، فضلا عما تخفيه بين سطورها من دلالات ورمزيات دينية وتاريخية عديدة، لنقوم بهذه الدراسة الموسومة بـ: **الرّمز الديني والتاريخي في شعر حسين زيدان: نماذج من ديوان "فضاء لموسم الإصرار"**؛ وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يبرز أن الكتابة الإبداعية الجزائرية ذات مرجعية عميقة مرتبطة بمكونات هوية الجزائري الدينية وجذوره التاريخية الممتدة، لينتج لنا نصا فسيفسائيا ذا روح أصيلة متشبّعا بالقيم الطيبة الراسخة؛ فيشعر قارئه أنه يغوص في عوالم متعددة بين ماض وحاضر، ويتذوّق تجارب مختلفة بين ما عاشه الأديب وما وثّقه قلمه من قصص الإنسان، وهذا ما لمسناه من خلال القراءة المتكررة للنتاج الأدبي الشعري والنثري لحسين زيدان.

أما عن إشكاليتنا؛ فيمكن أن نبلورها في مسألة تمثّل الدين والتاريخ في النظم الشعري عند حسين زيدان وتمظهراتها المختلفة في بنية نصوصه ودلالاتها، سواء أكانت توظيفا مباشرا، أم من خلال الإشارة والرمز، حيث يعدّ توظيف هذين البعدين من قبيل الحضور النوعي المضيف للنص الإبداعي بعدا قيميا ونبضا متجددا في القراءة والتأويل. وبناء عليه؛ يمكن أن نطرح التساؤلات الآتية: ما دور الرّمز الديني والتاريخيّ في نصوص حسين زيدان الشّعريّة؟ وهل كان توظيفها عرضيّا أم محوريّا في تشكيل بنية ودلالات قصائده؟

وقد سلكنا فيها المنهج الوصفي باستخدام آليتي الاستقراء والتحليل من أجل استخراج الرّموز الدينية والتاريخيّة، وتحليلها أدبيا ببيان ما تنطوي عليه، والمراد من توظيفها. وهدفنا في ذلك هو إعادة إحياء لأشعار جزائرية أصيلة، وإعادة إحياء لذكرى طيّبة لرمز أوراسيّ جزائريّ فذّ _والتاريخ والرّمز مدار حديثنا هنا_، ثم استخراج الرّمزيات التاريخيّة من بعض قصيد ديوانه "فضاء لموسم الإصرار"، ومحاولة فهمها والكشف عن سرّ توظيفها. وقد كانت النيّة أن نقوم بدراسة كل ديوانه، لكن ما إن شرعنا في ذلك حتى وجدنا أنّ المقام لا يسعها كلّها، فاكتفينا ببعض القصائد من ديوانه، عسى أن تأتي دراسة أخرى تكّمل _بعدما تنقد_ ما بدأناه، وعلى الله قصد السبيل.

وبالطبع لم تكن هذه الدراسة يتيمة بل كانت هناك بعض الدراسات التي عالجت بعض القضايا الفنية والأدبية في أعمال حسين زيدان عموما، وديوانه قيد الدراسة خصوصا، ونذكر منها:

رسالة ماجستير بعنوان: البنية الإيقاعية في شعر حسين زيدان من خلال ديواني اعتصام وفضاء لموسم الإصرار (٢٠٠٥-٢٠٠٦)، للطالبة عائشة جباري، من قسم الأدب العربي بجامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر. حيث قسّمت الباحثة رسالتها إلى ثلاثة فصول وسبقتها بمدخل تحدثت فيه عن تطور التشكّل الإيقاعي للقصيدة الجزائرية. أما الفصل الأول فكان في عناصر الإيقاع في شعر حسين زيدان (الوزن والإيقاع، القافية، الوقف والتدوير). والفصل الثاني في التراكم الصوتي وقيمه السياقية، حيث ركّزت فيه على القيمة التعبيرية للصوت، وحركية النظام الصوتي، وهندسة الحركة الإيقاعية. أما الفصل الأخير فكان في الاشتغال الفضائي للنص الشعري. فالباحثة كثّفت جهدها بين الاستقراء النظري، والإسقاط التطبيقي على ديواني الشاعر، ليكشف عن بنية قصائده وتنوع حركية وجرسية موسيقاه.

مذكرة ماستر بعنوان: استدعاء الشخصيات التراثية في شعر حسين زيدان (دراسة لنماذج مختارة) (٢٠١٤-٢٠١٥)، للطالبة سعيدة دباخ، من قسم الآداب واللغة العربية بجامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر. تحدثت الطالبة في

فصلها الثاني عن تعدد حضور الشخصيات التراثية في أشعار حسين زيدان، وقد استفدنا من بعضها ووظفناها في ثنايا هذا البحث.

مذكرة ماستر بعنوان: شعرية الرمز في ديوان "اعتصام" لحسين زيدان (٢٠١٤-٢٠١٥)، للطالبة وريدة عريش، من قسم الآداب واللغة العربية بجامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر. صممت بحثها في خطة من مدخل وفصلين، حيث تطرقت في الفصل الأول إلى أنواع الشعرية الرمزية عند حسين زيدان، وفي الفصل الثاني تعرضت إلى شعرية الرمز في بناء قصائد الديوان. وقد استفدنا من بعض ما جاء في فصلها الأول في دراستنا هذه.

مذكرة ماستر بعنوان: حضور فلسطين في الشعر الأوراسي "قصائد من الأوراس إلى القدس" لحسين زيدان أنموذجا (٢٠١٥-٢٠١٦)، للطالبة أحلام عجرود، من قسم الآداب واللغة العربية بجامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر. حاولت الطالبة في الفصل الثاني من دراستها أن تستخرج مظاهر حضور فلسطين في قصائد الشاعر، مع بيان جوانبها الفنية المختلفة.

أما عن دراستنا هذه؛ فقد سرنا في عرض مادتنا العلميّة وفق المحاور الآتية؛ الأول سيكون تعريفا بالشاعر وديوانه الشّعري. والثاني في تمظهرات الرّمز الديني في ديوان "فضاء لموسم الإصرار". والثالث في تمظهرات الرمز التاريخي في ديوان "فضاء لموسم الإصرار".

أولا-التّعريف بحسين زيدان وديوانه: وفيه نتطرّق إلى السّيرة الذاتيّة لشاعرنا، ثم نعرّج على التّعريف بديوانه الذي بين أيدينا.

١- **التّعريف بحسين زيدان:** ولد حسين زيدان في باتنة يوم ١٩٦٠/٠٢/٢٢م، وبدأ حياته المهنية بحصوله على شهادة الكفاءة للمدرّسين عام ١٩٨١م، فشهادة الكفاءة لأساتذة الرياضيات في العام الذي يليه، ثم أكمل تعليمه الجامعي في تخصّص اللغة العربيّة وآدابها وتحصّل على الماجيستير والدكتوراه فيها، وتقلّد العديد من المناصب التعليميّة؛ بداية من تدريسه في التعليم المتوسط فالثانوي ثم في جامعة التكوين المتواصل كأستاذ متعاقد، وبعدها في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة كأستاذ مشارك، ثم في جامعة أدرار كأستاذ محاضر، وآخر محطّاته التعليميّة قضاها بكلّيّة الشريعة والعلوم الإسلاميّة بباتنة من ٢٠٠٤ إلى حين تدهوّر صحته ووفاته عام ٢٠٠٧. وبالإضافة إلى عمله؛ فقد كانت له نشاطات أدبيّة ثقافيّة، من مثل أنّه كان عضوا في الاتّحاد الوطنيّ للكتّاب الجزائريّين، وعضوا بالمكتب البلديّ لاتّحاد الكتاب الجزائريّين بباتنة، ورئيس تحرير مجلّة الرواسي ١٩٩١. (بن خميس ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ٤-٦).

ويعدّ حسين زيدان من بين شعراء الرمز والاستعارة؛ حيث يهدف إلى توسيع لغته وإمكاناتها من خلال ابتداع معاني جديدة، ويعطي انفتاحا "على عوالم سحر التشكيل، فتأتلف بواسطتها عناصر متباعدة ومتناقضة، لتخلق واقعا جديدا يتناغم مع رؤى لشاعر وعمق تجربته" (بوعمامة ٢٠٢٢، ٣١٨)

٢- **التّعريف بديوان "فضاء لموسم الإصرار":** لا علم لنا بتاريخ كتابة هذا الديوان، لكنّنا حينما نقرأ سيرته العلمية المكتوبة على غلاف الكتاب، نجد أنّ هذا الديوان هو من أوّل أعماله الشّعريّة، وقد احتوى على ١٨ قصيدة مرتّبة كالآتي: (زيدان، ٦٠)

- البدء
- عزلة
- حدود الغد
- التميمة
- طقوس مجد الصقيع ١٤٠٤/٠٤/١٠هـ-١٩٨٤/٠١/١٣م
- أبو سفيان في استطرادات خاصة ١٩٨٠/١٢/٢٣م
- السجدة ١٩٨٣/٠٧م
- حجاب ١٩٨١/٠٣/٠٩م

- قادم ١٩٨١/٠٢/٠٤م
- ذكرى مسار الرفض ١٩٨٣/٠٧/٠٣م
- خوف في حجم الحزن ١٤٠١/١١/٠١هـ-١٩٨١/٠٨/٣١م
- الوصية والمبايعة ١٤٠٣/٠٢/٢١هـ-١٩٨٢/١٢/٠٦م
- حبال صوتية عبر وهج الشمس ١٩٧٩/٠٩/١٠م
- سفر الأمية ١٩٨٢/٠١/١٩م
- لا ١٤٠٤/٠٤/٠٩هـ-١٩٨٤/٠١/١٢م
- اقتراع (حب، الرأي العام) ١٩٨٣/٠٧/١٥م
- أمثال أسقطها الميداني ١٩٨٣/٠٧/٢٤م
- القوس والرامي ١٩٨٣/٠٦/٢٩م

وبالنظر في التواريخ التي كُتبت فيها تلك القصائد، نجد أنّ عمره حينها كان متراوحا بين التاسعة عشر والرابعة والعشرين، أي أنّه كان شابا صغيرا يافعا، أبحر قلمه باكرا في موج الكتابة الإبداعيّة، بيد أنّ المتذوق لشعره، وبراعته نظمه، وجميل نسجه، وقوّة ألفاظه، وجزالة أسلوبه، والتزام مفرداته، وما احتوته الأبيات من فكر متّقد، وفهم للحياة، وفلسفة واضحة، وتديّن عميق، ومعرفة غزيرة، ولمسات روحيّة، لم يكن ليعطيه هذا العمر الصغير، ولا يملك إلّا أن يقول: أنّ الأعمال لا تقاس بالأعمار، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على نضج شاعرنا الباكر وعبقريته الفذّة. وهذا ما سنراه فيما يأتي من محاور تحليليّة.

والملاحظ أيضا على عناوين قصائده أنّها تحمل الطابع التاريخيّ، سواء بذكر أشخاص معيّنين محدّدين، مثل: أبو سفيان والميداني، أو ذكر حدث بعينه، مثل: الوصية والمبايعة، أو بذكر المكوّنات التاريخية من مكان وزمان، مثل: حدود الغد، بارزة في كل عناوين ديوانه.

وإذا ما جئنا إلى تحليل البعد التاريخيّ الرّمزيّ في تسمية الديوان بـ"فضاء لموسم الإصرار"؛ فلا نجد أي قصيدة داخلّية تحمل هذا العنوان لكي نعود إلى تحليلها مباشرة، فجاز لنا هنا طرح تساؤلين: الأوّل متعلّق بالفضاء، والذي جاء عنده نكرة، في دلالة على اتساع المعنى وعدم حصره، فهل المقصود منه: الفضاء الأدبيّ والشّعريّ للتعبير والكتابة؟ أم هو الزّمن المناسب للكتابة؟ أم هو فضاء تاريخي غير محدّد بوقت، أو جامع بين الماضي والحاضر، في استشراف للمستقبل الذي تدلّ عليه مفردة الإصرار؟ أم هو فضاء تاريخيّ تفكّريّ تأمليّ؟

أمّا التساؤل الثاني فهو متعلّق بموسم الإصرار: فما المقصود بالموسم، وهل هناك حقا فصل خاص بممارسة العزيمة والإصرار على شيء معيّن؟ أم هو تلميح تاريخيّ إلى ثورة نوفمبر؟ أو ربما حدث ذاتيّ متعلّق بذكريات الشاعر نفسه؟ ثمّ ما المقصود بالإصرار نفسه؟

هذه تساؤلات دلالية أوّلية، قد تكشف عنها مكنونات أبياته وما تخفيه بين سطورها، أو قد لا تكشفها، وهو ما سنراه فيما سيأتي.

ثانيا-تمظهرات الرّمز الديني في ديوان "فضاء لموسم الإصرار": استخدم مصطلح الرمزية لأوّل مرة عام ١٨٨٤م، وفي عام ١٨٨٦م كانت انطلاقتها كحركة روحية مثالية، تحتاج في سبيل إدراك إبداعها إلى حسن مرهف ونظرة ثاقبة، لأنها كانت تهفو إلى الغموض والتجريد (راغب ٢٠٠٣، ٢٩٩-٣٠٠). فالرمز الديني يشير إلى اعتماد الأديب على النص المقدس في امداده بالدلالات والمصطلحات (طيبي ٢٠١٢-٢٠١٣، ١٢).

ومن هنا، فإنّنا سنتطرق إلى ذكر وتحليل كلّ التمظهرات والدّلالات الرّمزية التاريخيّة التي استطعنا الوقوف أو الكشف عليها في قصائد وخواطر شاعرنا ضمن هذا الديوان، والتي استخدمها لإثراء تجربته الشّعريّة. وقد قسّمناها إلى تمظهرات رمزيّة قرآنيّة، وتمظهرات رمزيّة تاريخيّة إسلاميّة. نذكر في كلّ واحدة منها ما وجدناه من رمزيّة تاريخيّة بحسب ترتيبها في قصائده.

١- **تمظهرات رمزيّة قرآنيّة**: جاء في ديوان شاعرنا ذكر لبعض الأحداث التاريخيّة القرآنيّة، مثّلت تناصّا قرآنيّا مع المفردات والآيات القرآنيّة؛ أوّلها هو مفردة (العدّة) في قصيدته "البدء":

"إنّي هنا
أتّم عُدّةِ
لنضرم الشّرارة الأُولى.." (زيدان، صفحة ٤).

وهو تناص لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فالقول السائد عند ذكر التهيّؤ لأمر ما قولنا: (إنّي على أتمّ الاستعداد)، لكنّ شاعرنا فضّل استخدام المفردة القرآنيّة "العدّة" ليحلينا إلى الدلالات والمعاني القرآنيّة التي أتت المفردة في سياقها، حيث يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "لئلا يحسب المسلمون أن المشركين قد صاروا في مكنتهم، ويلزم من ذلك الاحتراس أن الاستعداد لهم هو سبب جعل الله إياهم لا يعجزون الله ورسوله، لأن الله هيأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها. والإعداد التهيئة والإحضار، ودخل في ما استطعتم كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة. والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم... والقوة كمال صلاحية الأعضاء لعملها... والمراد بالآخرين من دونهم أعداء لا يعرفهم المسلمون بالتعيين ولا بالإجمال، وهم من كان يضمر للمسلمين عداوة وكيدا، ويتربص بهم الدوائر... وإذ قد كان إعداد القوة يستدعي إنفاقا، وكانت النفوس شحيحة بالمال، تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته" (بن عاشور ١٩٨٤، ٥٥/١٠، ٥٧/١٠).

فالطاهر بن عاشور يذهب إلى أنّ العدّة متعلّقة بالسّلاح والقوّة، أمّا شاعرنا فيقصد الاستعداد النفسيّ والمعرفيّ والثقافيّ المتعلّق بالكلمة والصدح بها، راجيا رضى الله وحده، وأن يتقبّل منه الجهاد الكلامي في سبيل إعلاء الحقائق التي يريد الإفصاح عنها، أو البوح بما يعتريه من أسرار ونقمة على واقع ظالم. فنرى أنّ سياق الآية التي وردت فيها مفردة (العدّة) هو سياق حرب بين المسلّمين والمشركين، وأنّ شاعرنا إنّما أراد بذلك خوض حرب كلاميّة فكريّة شاعريّة يحمي فيها ما تبقى من أعلام وملامح دينه، يستعيد فيها أمجاد الماضي، ويرثي حاضره، ويحاول بلسانه تغيّير ما أمكنه، خصوصا وأنّه استخدم كلمات من قبيل: "صلاة العصر... بآية كالبذرة المثلى" (زيدان، ٤) قبل ذكره لمفردة "العدّة". ومن هنا تبرز لنا بعض من علاقة عنوان الديوان ومراده منه.

وثاني تناص قرآنيّ استخدمه هو قوله في قصيدته المسمّاة "السّجدة":

"وراودته نفسه
والليل.. والصّوت الدّفينُ.. والقلقْ...
همّت به..
وكاد (أن) يضيع في النّفَقْ..
فقام في عجالةِ
وغاب في الآيات يتلو
سورة "العَلَقْ"..
وعندما استفاق من سجدته
أحسّ أنّ قلبه احترقْ.." (زيدان، ٢٣).

فهنا استخدم ثلاثة مفردات قرآنية: (راودته نفسه، همّت به، سورة العلق). فالمفردتان الأولى والثانية، ورد ذكرهما قرآنيا في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٣-٢٤]. فبالرغم من الموقف الصّعب الذي وجد سيّدنا يوسف نفسه فيه، ومن تعرّضه لفعل المراودة، إلّا أنّه كان مستذكرا ومستحضرا لوجود الله معه؛ فـ"قد تعرضت الآيات لتقرير ثبات يوسف _عليه السلام_ على العفاف والوفاء وكرم الخلق" (بن عاشور ١٩٨٤، ٢٤٩/١٢). بالرغم من أنّ "المراودة

المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير" (بن عاشور ١٩٨٤، ٢٥٠/١٢). وبالتالي؛ فالقصيدة تدلّ من خلال مفردة (المراودة) التي وردت فيها، بأنّ شاعرنا يستحضر تاريخيّا ما مرّ به الرمز _سيدنا يوسف_، ويعيد استحضاره هنا، لكن في موقف شعريّ جديد، فنفس الشاعر هي من تحرّكت وجاءها النوم ليثنيها عن صلاة الليل، في فعل مراودة متكرر، لكنه هزمه، وتغلّب عليه. في دلالة على أنّ النّفس مطالبة دوما بالجهاد المستمرّ ضدّ الشّهوات والفتنة المتكرّرة، وأنّ الدّين والقرب من الله سيكون دليلها ومنجيها.

فنلاحظ من خلال ما سبق، أنّ جلبه واستدعاءه للرّمز الدّينيّ المقدّس، استحضار للجانب الرّوحيّ الروحانيّ الذي تنطوي عليه نفس الشّاعر من إيمان صادق برغم كل الواقع المرير أو الماضي الأليم، وأنه دوما متعلّق به، فيعطيه الكثير من الطمأنينة والراحة في حضرته، ويعطي المعاني حياة ممتدة كحياة القرآن نفسه. بالإضافة إلى أن في استحضاره له كان مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. فكان الشعر وسيلته لذكر الله والتذكير به، وبأن رحمته وسعت كل شيء، وأن علينا التمسّك به والرجوع إليه دوما، فهو من بيد حلّا لكلّ الأمور، وهو من يسهّون الرحلة وتقلّباتها على الإنسان.

٢- **تمظهرات رمزيّة تاريخيّة إسلاميّة**: وهي الخاصّة بأحداث متعلّقة إمّا بالتاريخ الإسلامي القديم، أو التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر؛ مثلما ورد في قصيدة "التميمة" قول شاعرنا: "أنسى دمائي في (حماةْ)/ في (قدسنا)/ في (كربلا)" (زيدان، ٩)

فقد ورد ذكرٌ لمنطقة حماه في سوريا، والقدس في فلسطين، بالإضافة إلى منطقة في العراق، والتي فيها استشهد سبط رسول الله الحسين بن علي وأهل بيته، في معركة تاريخيّة خالدة.

والمقصود من الرّموز التاريخيّة الثلاثة التي ذكرها، هي شناعة ما حدث فيها من زهق لأرواح الأبرياء، والدّماء الطّاهرة البريئة التي سُفكت فيها. ونتيجة الحزن عليهم اسْترسلت هذه القصيدة منذ بدايتها باحثة عن شيء جميل في تراثنا وتاريخنا، وانتهت بذات السؤال "كم كنتُ أحلم أن أرى شيئا جميلاَ!" (زيدان، ٩). فالشّوق إلى شيء جميل يُبقي باب الأمل مفتوحا، إلى أن يحدث فعلا ويعمّ الخير الكثير، حتى لو يصل هو إليه، لكن ذلك التوق الشّديد له يكفيه، والإيمان به ينسيه مرارة ما حدث، ولذا أتى به أوّلا:

" كم كنتُ أحلم أن أرى شيئا جميلاَ!
في بحره المكنون أرهن ثروتي
وسأستحّم بفيضه من لهفتي
شيئا أراه فأرتمي مذهولَا!
أرمي شباكي لو تطاوعني يدي.. ولَو ارتقى؛
فسأصطفيه دليلَا.." (زيدان، ٩)

فالقصيدة حملت بين طياتها بالإضافة إلى ما تقدّم، بحثا عن مكنون نقي يُنسي شاعرنا آلام الماضي وتاريخه وما حدث فيه، وبلسما يشفي صدره من الجروح التي قيّحت أحشاءه من العويل، ويكفكف دمعه الطويل، ويتمنى لو أنّ تلك المصائب لم تحدث، ولم تكن، والتي تجسدت عنده في (لا) للدّلالة على الرفض القلبيّ والجوارحيّ لكلّ ما حدث مبرئا لذمته، فقال:

"شيئا يضمّد حرقتي
أنسى دمائي في (حماةْ)/ في (قدسنا)/ في (كربلاَ)
شيئا صغيرا مثل: لا
يعلو تراث خريطتي.. جيلا فجيلا..
كم كنت أحلم أن أرى شيئا جميلاً" (زيدان، ٩)

أمّا في قصيدته "خوف في حجم الحزن"، التي كتبها عام ١٩٨١م فيذكر إيران، بدليل قوله: "وتأبى الحزن إيران" (زيدان، ٣٠). ففي الفترة بين ١٩٨٠م-١٩٨٨م حدث الغزو العراقي عليها، فيقول في بدايات القصيدة:

"وتركنا وتركنا.. بلا أم سترضعنا.. بلا صاح يعزينا
وتاهت... آه... ذاكرتي

رمال البيد تعصف بي
وضاعت _ويح ذاكرتي_
ولست بذاكر أحدا.. سوى أحزان آبائي" (زيدان، ٢٩).

فهنا سيقوم بربط بين الحاضر الذي تعيشه إيران، والتعاطف الشخصي منه لما يحدث لأهلها، في استشعار لهموم أمته الكبيرة، ونصرة لموقف بلده الذي حاول تهدئة هذه الحرب، والتوّسط في إيقافها (نيشاني و حمادو ٢٠١٥-٢٠١٦، ٧٥)، وبين ما حدث في هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، مستحضرا للذاكرة والتاريخ ورمزيته، فيقول:

"في هجرة للعنفوان.. تسير مكّة في الدّجى
وقريش بيّتت السيوف
الغاشيةْ.. ما الغاشيةْ!..
يا غار ثور، سبِّح الله العتيد..
ففي فؤادك درّتان/ ومهجتي
وعلى الجفون الحمامة.. لاتؤذها..
فـ"سُرَاقَة" جلّف عنيد..
والعيون هجيرها
يَصْلَى ثنيّات الوداع..
إيران يثرب" (زيدان، ٣١).

فقد شبّه هجرة النبي الخاتم بمكة كلّها، فحينما سار في هجرته كأنّما سارت مكة. وأتى بهذه الاستعارة لأجل إبراز صمود إيران ودفاعها المقدس ضد الغازين من جيوش صدام حسين، حيث صارت مدينة للكفاح والصمود (إيران يثرب)، فكأنّما تسير على خطى نبيّها، وشبّه قريش بالمتربصين بإيران السوء والذين بيّتوا نياتهم السيئة، وجيّشوا العسكر بالكلام والسلاح (نيشاني و حمادو ٢٠١٥-٢٠١٦، ٣٥).

كما نلحظ استخدامه للتناص القرآني أيضا _ولم نذكره في محوره الخاص لارتباط التحليل هنا ببعضه_ في دلالتين؛ الأولى: على الغشاوة التي حدثت للمتربّصين، فخرج النبي المصطفى من بيته بأمان ونجا منهم؛ فدعا الشاعر بأن يكون لإيران المصير نفسه، تمثلا لتلك الحادثة. فـ"الغاشية: مشتقة من الغشيان وهو تغطية متمكنة وهي صفة أريد بها حادثة القيامة سميت غاشية على وجه الاستعارة لأنها إذا حصلت لم يجد الناس مفرا من أهوالها فكأنها غاش يغشى على عقولهم. ويطلق الغشيان على غيبوبة العقل فيجوز أن يكون وصف الغاشية مشتقا منه" (بن عاشور ١٩٨٤، ٣٠/٢٩٤). فأراد الشاعر أن يخبرنا بأن مقاومة إيران ستغشي عقول الغازين والمتربصين بها، وسيُذهلون من صمودها.

والثانية: هي في الإشارة التنبيهيّة الابتدائيّة التي تحلينا لها الغاشية، حيث قال الطاهر بن عاشور: "الافتتاح بالاستفهام عن بلوغ خبر الغاشية مستعمل في التشويق إلى معرفة هذا الخبر لما يترتب عليه من الموعظة... وتقدم هنالك إطلاق فعل الإتيان على فشو الحديث. وتعريف ما أضيف إليه حديث بوصفه الغاشية الذي يقتضي موصوفا لم يذكر هو إبهام لزيادة التشويق إلى بيانه" (بن عاشور ١٩٨٤، ٣٠/٢٩٤).

فنلاحظ ذلك الربط المذهل الذي قلّ نظيره، في استحضار لمعاني الآيات وتوظيفها بدقّة متناهية في شعره، مفسحا المجال لتأويلات عديدة، تتكشف لك في كلّ مرة تعيد القراءة، وكأنّها تأبى النفاذ، وتأبى الرُسوّ على معنى واحد. وهذا من دقّة وبراعة نظم شاعرنا، وعبقريته في توظيف الرّمز التاريخي والقرآني، فربط بين القرآن والقصيدة وأتاح لمعانيهما الانسياب مع بعض في اتساق عجيب.

ثم أكمل الحديث عن الهجرة والغار الذي آوى الحضرة النبويّة وصاحبه، ويتخيّل نفسه ثالثهما، حتى وصلوا إلى المدينة. فاستحضاره للبعد التاريخي وكذا للبعد القرآني ينمّ عن مقصود يرغب في إيصاله لنا، وهو شرعية صمود إيران، وأنّه في صفها والتاريخ في صفها والقرآن من فوقهم معها أيضا.

كما كان هناك استحضار لرموز متعلقة بالشخصيات الإسلامية، مثلما قال شاعرنا في قصديته "أبو سفيان.. في استطرادات خاصة":

"أهوالٌ ستبحر بي.. وهل ستورّث الأمصار إرث أبي؟
أَلَا ما أغرب الأسفار في زمن
يحوّر هذه العير المطهّمة امتدادا للنبي..
كيف استحالت كل روح للرّحيق المزمن؟..
وزمانك الموبوء من غصن الخنى
مزّقت أوراقي.. وبعت فراستي..
واستشرف الحزن المدجّج في الكرى..
أنا ما استقمت فهل ترين ضلالتي؟" (زيدان، ١٩)

فهنا تعجّب شاعرنا من أناس ينسبون أنفسهم وتصرفاتهم للنبيّ الكريم، وقد مثّلهم أو رمز لهم بالعير للّدلالة على البعد البهيميّ فيهم وفي تصرّفاتهم. وكذا يمكن القول بأنّ هناك تناصّا قرآنيّا مضمرا _ولأنّه مضمر ارتأينا أن يكون هذا موقعه المناسب_؛ حيث تشير العير إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. فالذي سمح لنا بالقول بوجود هذا التناص هو مفردة (الأسفار) التي تنطوي عليها الآية الكريمة. فيكون مكنون إشعار شاعرنا بأنّ الإنسان الذي يحمل دينا دون أن يسير على نهجه، يشبه الحمار الذي يحمل أسفارا، ولا يجوز له أن ينسب نفسه لأخلاق النبيّ العظيم. فهنا يعلن الشاعر اهتمامه بالفرد المسلم، ويحرص على أن يكون متبّعا قولا وفعلا للنبيّ الكريم ودين الإسلام.

كما يشير في هذه القصيدة إلى مظاهر الفقد التي أحدثها غياب النبيّ الكريم، في نفسه وفي أمته، وذلك في قوله:

"والآن، من يستصلح الخزف المشقّق في جبالي؟..
يخرج الأيتام من سقر الجحيم؟..
والآن، من يأتي يوضئني.. ويغسل كل أدراني؟..
فأشواقي غدت ظلماتها ثكلى
ومن يسقي جموحا ضم وجداني؟..
فللإعصار/ من يدري/ أغاريد،،، زغاريد،،،
هي الأحلام أحيانا..
هي الكلمات والبؤس المعاصر للرضى..
الطهر يا بحر اللظى.. الطهر يا... هي حكمة المشغوب
دوما؛ تقرف الأطفال؛ تقطف حنكتي.." (زيدان، ٢١)

بالإضافة إلى التوسّل به وندائه بصفة "الطهر". فلنحظ أنّه استخدم الرمز المقدّس المتمثّل في شخص النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، لكي يشعرنا بحجم الخسارة التي نحن فيها، من بؤس وظلم ومعاصي تحيط بالمسلم اليوم.

كذلك ورد ذكر للنبيّ الأعظم في موضع آخر، وتحديدا في قصيدته "قادم"، فيقول:

"قادم... أنت... من أعمق العمق
من نفخة الصور... أو من سكون..
قادم... أنت... تغسلني... من زمان الربا
رغوة الطهر تغمرني
من على صهوة الرفض... آت...
قادم من رياح تعيد بناء السماء..
قادم من رياحين هذه الصلاة..
قادم كانتصار الشهيد على موته
قادم من كهوف تصدر للعالمين الضياء.." (زيدان، ٢٦)

فقد أتى لنا الشّاعر بهذا القالب الكلامي، لأجل أن يعطينا دلالة على الخير العميم، والتفاؤل الجميل، وبأنّ في الإسلام طهرا وضياء سيغمر العالمين، وسيحلّ على العالم سلام وعدل قريب، بعدما ملئت معصية وظلما. ولا بدّ بأنّ جملة (قادم من كهوف تصدر للعالمين الضياء) فيها رمز وإيحاء إلى النبيّ الكريم، فهو من كان يتأمل ويتعبّد في غار حراء. كما أنّ فيها دلالة أخرى على أصحاب الكهف، في تزاوج يوحي للقارئ بأهمية الدّين، وبالنور الذي أتى به للإنسانيّة. كما نلحظ استخدامه للرّمز التاريخيّ (الشّهيد)؛ الذي يدخلنا في أعماق التاريخ بحثا عنه كون شاعرنا أتى به معرّفا، فلا بدّ أن يكون هذا الشهيد شخصا معلوما معروفا؛ وبالفعل إذا دققنا في كلماته الآتية فسنعرف من المقصود بالرّمز التاريخيّ:

"فلتثر ضد صومي بطنتهم
[قطع]
فلتغب أحرف تستحم بنار الشفق..
ولتذب شفتان؛ بأوزاره تحترق..
ترتجي المعصيات..
فلتجف البحار..
فليحن موسم للسكارى.. ليالي العراة..
فليكن ما يكون..." (زيدان، ٢٥-٢٦)

فلا شكّ أنّ الشّهيد المقصود هو الحسين بن علي رضي الله عنهما، لأنّ قتلتَه كانوا "يمثلون في تصرفاتهم أحط ما يمكن أن تصل إليه النفس البشرية، من نزوات وشهوات، في حين أن أصحابه كانوا يمثلون أسمى ما يمكن أن ترتفع إليه من الفضائل والمكرمات" (يوسف ١٩٨٨، ٢٣٢). وهذا الذي حمله معنى البيت: (فليحن موسم للسكارى.. ليالي العراة). بالإضافة إلى أنّ خصوم الحسين قد منعوه ومن أتى معه من الماء، وقضى عطشانا شهيدا (يوسف ١٩٨٨، ٢٤٩)، وهذا الذي تدلّ عليه مفردات شاعرنا (صومي، شفتان، فلتجف البحار).

فقد أثار الشّاعر في قصيدته عبر الرّمزيّة والإيحاء حسا دينيا وتاريخيا ممتدا، يعود بنا إلى أصحاب الكهف، فالنبّي الكريم، والسبط الشّهيد، ورابطا إياه بالحاضر ومحاولة للقبض على ما تبقى من القيم والدين، واستشراف لمستقبل يعمّ فيه السلام والصلاح والأمن، مثلما وعد الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

فنلاحظ حضور البعد الديني في كلّ خطاباته، فقد كان الدين مع التاريخ برمزياته ورموزه حاضرا بقوة مشكّلا بوتقة محوريّة يستمد منها شاعرنا العبر والمعاني والمشاعر الفيّاضة، ولأنّ التاريخ _خصوصا الإسلامي_ في أكثريته مليء بالسواد والظلام والأحداث السيّئة والحزينة، إلا أنّه حاول إعطاء النظرة التفاؤلية المستبشرة بغد أفضل وعالم يغمره العدل والنور، سواء أكان لوطنه الجزائر، أو للبلدان الإسلاميّة، أو نهضة لدين الإسلام ككل. فقد كان شاعرنا قريبا من هموم واقعه ومجتمعه مستصحبا في ذهنه دائما ما حدث قديما، وموظفا إياه دون انقطاع عنه، فظهر لنا إنسانا مسلما مرهف الحس عطوفا، وطنيا عالميا وإنسانيا.

ثالثا-تمظهرات الرمز التاريخي في ديوان "فضاء لموسم الإصرار": الرّمز التاريخي هو ما يستعمله الشاعر "في نصوصه ليعمّق تجربته الشّعرية مستخلصا منه أهم الأحداث والأماكن التي أكسبتها مجريات التاريخ تميزا، وشكلت منعطفات حضارية هامة، كما أنه يستحضرها ليس بهدف التذكير فحسب بل لأجل غاية جمالية وبُعد دلالي. إن الرمز إيماء وإيحاء، وفي الاستعمال الأدبي يكون هو الصلة بين الذات الشاعرة والأشياء" (عريش ٢٠١٤-٢٠١٥، ٢١). وقد استعان حسين ببعض الرموز والشخصيات الأسطوريّة أو التاريخيّة المعروفة، وذلك مثلا في قصيدته "طقوس مجد الصّقيع"، فيقول:

"لا تتركي "طروادة" لي: "وحدتي".. لي: عزلتي..
من أيّ بحر تبحرين؟..
للبحر ربٌّ/ نيّريّوس لم يزل.. ولم يزل بيلوس:
لأي أرض تبحرين؟..

للبحر "ربِّ" جاثم.. "بونابا" مات الصبيحة.. انتهى
فصدّقيني.. صدّقي.. في الأرض قرصان لـ"زوس"
لا ترحلي
"فإخناتون" لن يرضى لك البسمات؛ لن تحميك ترسانَهْ
ولن يُبْدِي تخدّرهُ.. ليغرق موسم الكهنَهْ
لا ترحلي.. لا تنتمي "دِهْيَا" إليكْ
لن تحتفي بمولد الإيقاع في اخضراه
لن تنتمي دهيا إليك
[قطع]
أ"لِلْمَهَاتْمَا" تلجأين..؟ وتحلمين في فضاء "نرفانا"" (زيدان، ١٣و ١٥)

فطروادة هي أسطورة تحدّثنا عن صراع الآلهة والفتنة التي وقعت بينهم، بينما نيّريّوس هو شيخ البحر الخالد، الذي يقدّم النصح الحكيم ويعرف مكنون الغيب، أما بيلوس فهو ابن لإله حكيم، وزوس هو سيد مجلس الآلهة الكبار، وهو حاكم الأرض والسماء، أما إخناتون فهو ملك مصر الفرعوني، كان متعصّبا لدينه الجديد ووقف في وجه الكهنة (دباخ، ٢٠١٤-٢٠١٥، صفحة ٦٢). أما دهيا فهي ملكة أمازيغية (لخلوفي ٢٠١٨، ٣١٤). والماهاتما غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨م) تميّز بالتسامح والحرص على العدل (معمولي ٢٠١٤-٢٠١٥، ٢٢-٢٣)، والنيرفانا عند البوذية هي نهاية المعاناة، والخير النهائي الأسمى والأعلى (كيون ٢٠١٦، ٥٩).

ومن هنا؛ فإن استحضار شاعرنا لرموز تاريخية أسطورية، إنما يوحي بأنه يعيش حالة من القلق والاضطراب من الواقع الذي يعيشه من تجبّر وظلم، فحاول طمأنة نفسه وأنفسنا بأن يأخذنا إلى عالم آخر، غير الأرض التي يحكمها الجبابرة، وكلّ الأساطير التي استخدمها ووظّفها إنّما تعود إلى البحث عن العدل والخير. فالدّلالة الرّمزيّة هنا هي في محاولته التخلّص من غربته عن واقعه الذي يعيشه عن طريق جلب الأسطورة، والعودة إلى زمن نقي طاهر (دباخ ٢٠١٤-٢٠١٥، ٦٢ و ٦٤).

كما استحضر الشاعر رموزا متعلّقة بثورة الجزائر وتاريخها مع الاستعمار، وذكرى الشاعر معها؛ ففي قصيدة "ذكرى مسار الرفض" التي خلّد فيها شاعرنا معاناة الإنسان الجزائريّ وقت الاستعمار، وربطها في سياق تاريخي ممتدّ إلى تاريخ الإسلام الأول، بدلالة استخدامه للمفردة الإسلامية: "الخارجي" (زيدان، ٢٧). حيث ذكر بعضا من تفاصيل المداهنات التي كانت تحدث لأسر المجاهدين بحثا عن أزواجهم وأبنائهم، وما كان يصاحب تلك المداهنة، من خوف ودمع وحتى اعتداء _(ثديا حزينا، خوفها، المأفون، حزنها، فتشوا بيتي، شدني من شعر ذقني، لم أذق طعم حليب.. بل رضعت الأدمعا.." (زيدان، ٢٧-٢٨) _ فيقول:

"رافضٌ مُذْ أرضعتني المُرْضِعَهْ
قدّمتْ ثديا حزينا.. فرأيت الأضلعا
خوفها من طارق يسأل ليلا إخوتي
عن مكان "الخارجي"".. وكبير الأربعهْ" (زيدان، ٢٧).

فهو وإن كان لم يحضر الحادثة فعلا، أو ربما حدثت له حقيقة، إلا أنّه أعاد إحياء المشهد بكثير من الواقعيّة، وبسرد شجي ذو مشاعر صادقة حقيقية، وعن الخوف والقوة الصمود لدى أبناء المجاهدين والشهداء ونسائهم، في تذكير للقارئ بعظم التضحيات التي قدّموها، والآلام التي تحمّلوها.

فنلاحظ من التمظهرات الرّمزية التاريخية السابقة، أنّ شاعرنا قد صاغها ضمن خطاب فردي، يبدو فيه كأنّه هو من مرّ بتلك التجارب، أو يسقط حالاته النفسية وذكرياته الخاصة، أو تفكّره في الماضي، ويعطيه للقارئ في قالب حوار مع النفس أو مع الغير.

كما انطوت أبيات شعر شاعرنا على قاموس مليء بألفاظ دالّة على عنصري الزمان والمكان، وهما من مكونات التاريخ؛ مثل استخدام مفردة (الغروب)، والتي تحمل البعد التفكّري، الآخذ باللّب للتفكّر في ذلك الفضاء الغارق في الماضي، المتفكّر فيه بعين الحسرة والحزن والشجون، فنجده يذكر في القصيدة الأولى "البدء" لفظة الغروب قائلا:

"وحيثما سألتَ عنِّي
بين زفرة الغروب والشّهيق..
في مساحة هناكَ
أو جُمَيْزَةٍ بسوق..
أو لمسْتَ فرحتي
وغُصْتَ في رحم الحريق.." (زيدان، ٤)

فارتبط الغروب بالشهيق الدال على امتلاء النّفس بأمر ما، هذا الأمر الذي يتّضح في نهاية القصيدة حينما قال:

"حيثما سألت عنّي؛ في صلاة العصر
أو ليل بهيمْ..
أو جُلْتَ في التّاريخ
تبغي نقطة البدء العظيم..
فحيثما بحثت عنّي..
في المكان والزمان.. لن تهيمْ..
ودون أن تقنعني
بآية كالبذرة المثلى..
إنّي هنا
على أتمّ عُدَّةٍ لنضرم الشّرارة الأولى.." (زيدان، ٤)

فنفسه على أتم الاستعداد للبدء في الكلام، فدلالة الغروب لم تقتصر فقط على جانب الأسى والتشاؤم والظلام الذي تدلّ عليه لفظة اللّيل، لكنّه كلام حامل أيضا لمعنى التفاؤل والبدء في أمر عظيم، جاعلا هذه القصيدة الافتتاحية الحاملة لدلالات انتقلت من طرح الواقع والمشاعر التي تعتريه، إلى العزيمة على شيء ما، فبعد كل غروب لا بدّ من شروق، وبعد كلّ ليل حالك لا بدّ من فجر منير.

كما نلحظ استخدامه لمفردة البحر في مواقع عديدة، مثل قوله في قصيدة "حدود الغد":

أو قلت: لن أمشِي: فالبحر مسدودٌ والموج لن يمضِي" (زيدان، ٨).

فهنا مفردة البحر التي وإن دلّت على المكان، لكنهّا تشير هنا إلى البحر الذي انفلق لموسى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. فمثّل البحر هنا رمزا دالّا على حدث تاريخيّ وقع في عهد سيدنا موسى، واستخدمه هنا بعكس ما حدث فعلا، فإن كان البحر انفلق لموسى ونجاه الله وقومه من بطش فرعون، إلا أنه لم ينفلق له، لينجيه من بطش المستعمر، لهذا رفض المضيّ من خلاله.

فنرى كيف استعان بالحدث التاريخي، لكن هذه المرة لم يتحقق نفس الغرض الذي كان في الحدث التاريخي، بل عكسه.

كما نرى استخدامه للرّمز "المنبر" وذلك في قوله في قصيدته "حجاب":

"إذ يمتطي زمن السّنا بُشراه
يستصرخ الحزن المسيّب سيفهُ
يعلو بمنبره المنير اللهُ
يعلو الصّدى فتذوب كلّ ضغينةٍ
وتثور في وجه العدى أفواهُ" (زيدان، ٢٤)

فإن كان للمنبر الذي استعمله بعد مكاني، لكنّه يحمل أبعادا زمانيّة تاريخيّة أبعد من ذلك، وذلك بقرينة المفردات التي تدّل على زمن غابر؛ فيه الخيل (يمتطي زمن السنّا)، والسيف، وكذا الضغينة التي رأينا فيها بعض التّشابه مع قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وأهمّ قرينة وهي مفردة البشرى، والتي تحلينا أيضا إلى قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٢]، وأكيد مفردة الجلالة "الله".

فهذه المقدّمات المفرداتيّة المركبّة إنّما تحلينا إلى فجر الإسلام وبزوغ رايته:

"صبحٌ... وتشرق في الضُّحى أَضْدَاهُ
شَوَّقْتِنِي للحقّ يا أختاهُ
سكن الدجى والليل يحمل رايتي" (زيدان، ٢٤)

فيصبح المنبر رمزا دالا على حدث تاريخي يشير إلى بشارة ظهور الإسلام، وإعلاء رايته.

ومن هنا فقد رأينا في هذا المحور كيف استخدم شاعرنا رموزا أسطورية وتاريخية، ومصطلحات دالة على الزمان والمكان، توظّف التاريخ بطريقة جدّ سلسلة وذكية، تحتاج إلى إعمال الفكر، وتقليب النظر من أجل فكّ شيفرتها ومعرفة المقصود منها.

خاتمة:

بعد الذي تقدّم بحثه، يمكننا أن نجمل خلاصة البحث في أن قصائد ديوان "فضاء لموسم الإصرار" للأديب والشاعر حسين زيدان مليئة بالرموز والكلام المشفّر، خصوصا الديني والتاريخي، حيث يمثّل الرمز اتجاها سلكه الشاعر ليعبّر بطريقة تريحه، ويغنيه عن الإفصاح المباشر عن مقاصده ومراده، مفسحا المجال للقارئ بأن يؤول نصوصه وفق ما يفهمه. كما يمكننا الخروج بجملة من النتائج أهمها:

١- يعدّ ديوان "فضاء لموسم الإصرار" أوّل الأعمال الشّعريّة للشّاعر الأوراسيّ الرّاحل حسين زيدان، وقد كتبه في باكورة شبابه.

٢- لعنوان الدّيوان رمزيّة دينية وتاريخيّة حمّالة للدّلالات؛ فالفضاء بقي مفتوحا مستقبلا للمعاني، من بينها أنّه يحتمل الافصاح الذي يستحضر الماضي ويعيد التّذكير بأحداثه دون خوف، والتعبير عن الحاضر بهمومه، واستشراف للمستقبل بثقة.

٣- يحوي ديوان "فضاء لموسم الإصرار" تمظهرات رمزيّة تنوّعت بين الدينيّ والإسلاميّ، العربيّ والجزائريّ، وحتى الذاتي، وقد شكّل الرّمز في قصائده _من خلال النماذج التي سقناها_ مرجعية أساسية استلهم منها معانيه وكثّفها، في ربط بين الأزمنة الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل. فبعض القصائد كانت احتفاء واضحا بأحداث ماضية، أعاد الشّاعر إحياءها ورثائها، التطلّع إليها، أو محاولة نسيانها. كما حملت بعض الرّموز أيضا فضاء لتعدّد المفاهيم والدّلالات، تجعل النّص الشّعري دائم الحياة، رابطا بين الأصالة والمعاصرة، مبرزا همومه وهموم أمّته الصغيرة والكبيرة.

٤- بنى الشاعر قصائده ببنية لغويّة حملت الكثير من المفردات الدّالة على الزمان والمكان، والتي ما إن يقف القارئ على معانيها حتى تنفتح أمامه قراءات وتأويلات جديدة، وهذا الذي يدّل على تماهي وتعمّق شاعرنا في التاريخ والنهل من معينه، لتعزيز وتقوية معانيه.

٥- مثّل الرمز الديني عنصرا مهمّا في ديوان الشاعر بل رافدا ومصدرا أساسيًا، لم يستغن عنه في أي قصيدة من قصائده، بالإضافة إلى استخدامه للرمز التاريخي بدرجة أقل من الديني. فكان استخدامه في منتهى الدّقة والاتساق والذكاء، وذلك لأغراض تختلف من قصيدة لأخرى، لكنها غالبا ما تدور في فلك التأسي به والتغني به، أو حسرة وتألما منه، أو تطلعا وشوقا إليه. كما أنّ هذا التوظيف لم يمنعه من إعطاء المعاني بعدا حاضرا معبّرا عن الواقع وهمومه وقضاياه، بالإضافة إلى البعد المتجدّد المستشرف للمستقبل.

كما لا يفوتنا أن نذكر توصيتين علميتين متعلّقتين بالجانب الرّمزيّ في هذا العمل الشّعري لشاعرنا؛ الأولى هي إعادة قراءة ديوان الشّاعر ومحاولة فهمه بعيدا عما تقدّم هنا، فنصوصه قابلة للقراءة بحسب استعداد القارئ وزاده المعرفي، وقد توجد رموز أخرى _فيما تناولناه من قصائد_ لم ننتبه لها، أو كان ذلك هو جهدنا ووسعنا في الكشف عنها وفهمها. والتوصية الثانية متعلّقة بإكمال ما تبقى من قصائد هذا الديوان، لأنّه _كما ذكرنا في المقدمة_ نيتنا كانت محاولة إكمال الديوان كلّه، إلا أنّ المقام لم يتسّع لها كلّها.

المراجع والمصادر

عبد العزيز، زينب. (٢٠٢٢). اللغة من منظور القراءة الحداثية للنص القرآني أبو القاسم حاج حمد نموذجا .الصراط، (2) 24، .766-747تم الاسترداد من https://www.asjp.cerist.dz/en/article/210716

بن خميس، توفيق (٢٠٠٩). البنية اللغوية في شعر حسين زيدان ديوان "قصائد من الأوراس إلى القدس" أنموذجا [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة باتنة ١.

بن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر.

بو عمامة، سماح. (٢٠٢٢). الانزياح الاستعاري واتساع الدلالة في شعر "حسين زيدان ."مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، (1) 14، .332-314.

دباخ، سعيدة (٢٠١٥). استدعاء الشخصيات التراثية في شعر حسين زيدان (نماذج مختارة) [مذكرة ماستر غير منشورة]. جامعة محمد خيضر بسكرة.

راغب، نبيل (٢٠٠٣). موسوعة النظريات الأدبية .الشركة المصرية العالمية للنشر.

طيبي، هاجر (٢٠١٣). الرمز التاريخي في شعر أمل دنقل [مذكرة ماستر غير منشورة]. جامعة المسيلة.

عريش، وردة (٢٠١٥). شعرية الرمز في ديوان "اعتصام" لـ: حسين زيدان [مذكرة ماستر غير منشورة]. جامعة محمد خيضر بسكرة.

كيون، د. (٢٠١٦). البوذية مقدمة قصيرة جدا (صفية مختار، مترجم). مؤسسة هنداوي. (تاريخ النشر الأصلي ٢٠١٣)

لخلوفي، جمال. (٢٠١٨). ديا الملكة المنسية عناصر السيرة ومعالم الأسطورة .مجلة الربيع، (8)، .328-313تم الاسترداد من https://www.academia.edu/39049623/%D8%AF%D9%8A%D9%87%D9%8A%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9_%D8%B9%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9_%D9%88%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_%D8%A

معمولي، وفاء (٢٠١٥). المهاتما غاندي وسياسة اللاعنف في الهند ١٨٦٩-١٩٨٤م [مذكرة ماستر غير منشورة]. جامعة محمد خيضر بسكرة.

نيشاني، فاطمة، و حمادو، فتيحة (٢٠١٦). الحرب العراقية الإيرانية والدور الدبلوماسي للجزائر في حل الأزمة ١٩٨٠-١٩٨٨م [مذكرة ماستر غير منشورة]. جامعة أحمد دراية أدرار.

زيدان، حسين. (بلا تاريخ) .فضاء لموسم الإصرار .منشورات.SED

يوسف، محمد حسين (١٩٨٨). سيد شباب أهل الجنة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين بن علي رضي الله عنها .مطابع دار الشعب.

References

Abdelaziz, Z. (2022). The language from the perspective of the modern reading of the Quranic text: Abi al-Qasim Haj Hamad as a model. *Al-Sirat, 24*(2), 747-766. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/210716

Ariche, W. (2015). *The poetics of the symbol in the diwan "I'tisam" by Hussein Zaidan* [Master's thesis]. University of Mohamed Khider, Biskra.

Ben Achour, M. T. (1984). *Liberating the Sound Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book*. The Tunisian Publishing House.

Bin Khamis, T. (2009). *The linguistic structure in the poetry of Hussein Zaidan, Diwan "Poems from the Aurès to Jerusalem" as a model* [Master's thesis]. University of Batna 1.

Bouamama, S. (2022). Metaphorical shift and semantic expansion in the poetry of "Hussein Zidan". *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 14*(1), 314-332.

Debbakh, S. (2015). *The invocation of heritage figures in Hussein Zaidan's poetry (selected models)* [Master's thesis]. University of Mohamed Khider, Biskra.

Keown, D. (2016). *Buddhism: A very short introduction* (S. Mokhtar, Trans.). Hindawi Foundation.

Lakhloufi, J. (2018). Dihya, the forgotten queen: Elements of biography and features of the myth. *Al-Rabie Journal*, (8), 313-328. https://www.academia.edu/39049623/%D8%AF%D9%8A%D9%87%D9%8A%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9_%D8%B9%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9_%D9%88%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_%D8%A

Maamouri, W. (2015). *Mahatma Gandhi and the policy of non-violence in India 1869-1984* [Master's thesis]. University of Mohamed Khider, Biskra.

Nichani, F., & Hamadou, F. (2016). *The Iraqi-Iranian war and the diplomatic role of Algeria in resolving the crisis 1980-1988* [Master's thesis]. University of Ahmed Draia, Adrar.

Ragheb, N. (2003). *Encyclopedia of literary theories*. Egyptian International Publishing Company.

Taibi, H. (2013). *The historical symbol in the poetry of Amal Dunqul* [Master's thesis]. University of M'sila.

Youssef, M. H. (1988). *Master of the Youth of Paradise, grandson of the Messenger of God, Al-Hussein bin Ali*. Dar Al-Shaab Press.

Zidan, H. (n.d.). *A Space for the Season of Insistence*. SED Publications.

HOW TO CITE THIS ARTICLE

Abdelaziz, Z. (2024). The Religious and Historical Symbol in Hussein Zidan's Poetry: Cases from the Collection (Fadha' li-Mawsim al-Israr). *LANGUAGE ART*, *9*(4):61-76, Shiraz, Iran. [in Arabic]

DOI: 10.22046/LA.2024.22

URL:https://www.languageart.ir/index.php/LA/article/view/429

Language Art, 9(4): pp. 61-76, 2024, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2024.22 DOR:
فصلنامه هنر زبان، دوره ۹، شماره ۴، سال ۲۰۲۴، از صفحه ۶۱ تا ۷۶

نمادهای دینی و تاریخی در شعر حسین زیدان: بررسی موردی دیوان (فضاء لموسم الإصرار)

دکتر زینب عبدالعزیز[1]
استاد دانشگاه عالی علوم دینی امیر عبدالکادر، دانشکده زبان عربی، الجزایر.

(تاریخ دریافت: ۱۷ شهریور ۱۴۰۳؛ تاریخ پذیرش: ۲۵ آبان ۱۴۰۳؛ تاریخ انتشار: ۱۰ آذر ۱۴۰۳)

چکیده

حسین زیدان، شاعر الجزایر درگذشته، به دلیل سبک خلاقانه و جذابش معروف است. به ویژه وی به نمادسازی علاقه زیاد دارد و به مخاطب امکان می‌دهد تا به فکر کردن و بررسی نمادها بپردازد، به طوری که با استفاده از دانش تاریخی، فرهنگی و دینی خود، به طور مستقل به اهداف و معانی نمادهایی که وی در شعر خود استفاده کرده است، دست یابد. به رغم اینکه مطالعات درباره اثرات زیدان کم است، اما اثرات وی به طور معنوی و تاریخی بسیار مهم هستند و به عنوان راهنما در مراحل حیاتی تاریخ ملت عمل می‌کنند. بنابراین، ما به انتخاب این موضوع برای بررسی نمادهای تاریخی در اثرات شعری وی پرداختیم. به طور خاص، به سوالات اصلی زیر پاسخ دادیم: چه نقشی نمادهای دینی و تاریخی در شعر حسین زیدان دارند؟ استفاده از آن به صورت اتفاقی یا اساسی در ساختار و معنا اثراتش بود؟ با استفاده از روش توصیفی و مکانیسم‌های آن، به نتیجه رسیدیم که نمادهای دینی و تاریخی در شعر حسین زیدان، از طریق مثال‌هایی که انتخاب کرده‌ایم، به عنوان یک بعد اساسی در ساختار متن و جریان معنی عمل کرده است. این نمادها به طور پیوسته گذشته و نمادهای آن را به خاطر می‌آورند، هرچند با امید، اندوه یا غم، و به طوری که نیازهای ساختاری شعر را تامین می‌کند.

واژه‌های کلیدی: نشأ، نمادسازی، گذشته، مقدّس، هویت، شعر الجزایر، حسین زیدان.

[1]E-mail: zineb.abdelaziz95@gmail.com

Language Art, 9(4): pp. 61-76, 2024, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2024.22 DOR:
Article No.: 94.41.140309.6176

ORIGINAL RESEARCH PAPER

The Religious and Historical Symbol in Hussein Zidan's Poetry: Cases from the Collection (Fadha' li-Mawsim al-Israr)

Dr. Zineb Abdelaziz[1]
Professor Lecturer (B), Department of Arabic Language, Emir Abdelakader University of Islamic Sciences Constantine, Algeria.

(Received: 7 September 2024; Accepted: 15 November 2024; Published: 30 November 2024)

The late Algerian poet Hussein Zidan is renowned for his creative and evocative style. Fascinated by symbolism, Zidan's work allows readers to contemplate and explore, drawing upon their cultural-historical and spiritual-religious knowledge, to independently uncover his intentions and grasp the meaning of his symbolic choices. Studies of Zidan's works remain scarce, despite their notable spiritual nature and guidance through crucial junctures in the nation's history. Therefore, we have chosen to examine the occurrence of historical symbolism in his poetic texts. Specifically, we address the following central question: What role does Religious and Historical Symbol play in Hussein Zidan's poetry? Was its use incidental or fundamental in shaping the structure and meaning of his poems? Following the descriptive methodology with its various mechanisms, we concluded that religious and historical symbolism in Hussein Zidan's poetry, as evidenced through our selected examples, constituted a fundamental pivotal dimension in textual construction and semantic fluidity, continuously evoking the past and its symbols, whether with optimism, regret, or sorrow, as demanded by the poem's contextual requirements.

***Keywords*:** Self, Symbolism, Past, Sacred, Identity, Algerian Poetry, Hussein Zidan.

[1] E-mail: zineb.abdelaziz95@gmail.com